مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثامنة عشرة : العدد التاسع والستون ـ ربيع الثاني ١٤٣١ هـ ـ مارس (آذار) ٢٠١٠ م

مسجد على شواطئ قيسارية بفلسطين

Mosque on Qesarya Beach - Palestine

آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية
بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
دبي - ص.ب. ٥٥١٥٦
هاتف ٢٦٢٤٩٩٩ ٤ ٩٧١+
فاكس ٢٦٩٦٩٥٠ ٤ ٩٧١+
دولة الإمارات العربية المتحدة
البريد الإلكتروني: info@almajidcenter.org

السنة الثامنة عشرة : العدد التاسع والستون - ربيع الثاني ١٤٣١ هـ - مارس (آذار) ٢٠١٠ م

رقم التسجيل الدولي للمجلة

ردمد ٢٠٨١ - ١٦٠٧

المجلة مسجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ٣٤٩٣٧٨

هيئة التحرير

مدير التحرير
د. عز الدين بن زغيبة

سكرتير التحرير
د. يونس قدوري الكبيسي

هيئة التحرير
أ.د. حاتم صالح الضامن
د. محمد أحمد القرشي
د. أسماء أحمد سالم العويس
د. نعيمة محمد يحيى عبدالله

الاشتراك السنوي	داخل الإمارات	خارج الإمارات
المؤسسات	١٠٠ درهم	١٠٠ درهم
الأفراد	٧٠ درهماً	١٠٠ درهم
الطلاب	٤٠ درهماً	٤٠ درهماً

المقالات المنشورة على صفحات المجلة تعبر عن آراء كاتبيها ولاتمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المركز الذي تصدر عنه

يخضع ترتيب المقالات لأمور فنية

الفهـــــرس

الإفتتاحية

الأسلوب والنَّظم القرآني بين الأصالة والحداثة

د. علي عبد القادر الطويل ٤

المقالات

طرائق استنباط السنن القرآنية

د. رشيد كهوس أبو اليسر ٦

ضوابط اللغة العربية في مكونات المجتهد

أ. د. عبدالرزاق عبدالرحمن السعدي ١٨

رحلات المغامرين العرب في المحيط الأطلسي

(دلائل الولوج إلى الأمريكيتين قبل كولومبس)

أ. حسني عبد المعزّ عبده عبد الحافظ ٣٥

ابن دُرَيْد الأزْدِيّ الأديب اللُّغويّ

د. سمر روحي الفيصل ٤٥

الفن الخطابي في التراث النقدي

(حفر في ذاكرة المصطلح)

أ. زيدان عز الدين عللوه ٦١

الأدب المقارن و العولمة – تحديات وآفاق

محمد سيف الإسلام بوفلاقة ٨٩

الذوق في العمل الأدبي: خصائص ومقومات

د. عبد الرحمن الخالدي ١٠٥

تحقيق النصوص

جعفر بن عُلْبَة الحَارِثِيّ حياتُهُ وما تبقَّى من شعرهِ

جمع وتحقيق ودراسة: د. عباس هاني الجراخ ١٢٢

جواب العلاَّمة أبي حفص الفاسي عن مسألتين في أسماء السور

تقديم وتحقيق : رشيد بن علي الحمداوي ١٤٧

دراسة النصوص

مَنْ مُصنِّفُ هذا المخطوط ؟

د.عبد الرَّازِق حويزي ١٦٨

الملخصات ١٨٢

طرائق استنباط السنن القرآنية

د. رشيد كهوس أبو اليسر
جامعة محمد الأول/وجدة-المغرب الأقصى

لابد لمن أراد ولوج باب علم سنن الله أن يقف مع النص القرآني وقفة تأمل وتدبر؛ ليستنبط ما وراءه من سنن مطردة، وفي هذا المقام أذكر أمثلة ونماذج لكيفية استنباط تلك السنن التي تحدثت عنها:

√ - نماذج لاستخراج السنن واستنباطها على وجه التفصيل:

١ - ورود لفظة (سنة) وما اشتق منها:

يأتي هذا اللفظ في سياق الحديث عن نتائج متعلقة بسلوك الناس أو قبل تقرير حكم أو بعده: نحو قوله تبارك وتعالى في سنته في الهداية لسنن السابقين: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١]، وقوله عز من قائل في سنة الجزاء من جنس العمل: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[٢]، وقوله عز وجل في سنته في المكذبين على مدار التاريخ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٣]، وقوله تقدست كلماته في المشركين المنكرين لدعوة الحق المتصدين للرسل: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[٤]، وقوله جل جلاله في سنته في هزيمة المشركين المستكبرين الذين يصدون عن سبيل الله ويؤذون رسل الله -عليهم السلام- في بضع سنين: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[٥].

٢ - ورود لفظة (جَعَلَ) وما اشتق منها في سياق الأفعال الإلهية:

نحو قول الله عز اسمه في سنته الله في الخَلق: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ

اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦].

وقوله عز سلطانه في سنة الاستخلاف: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٧].

وقوله جلت عظمته في سنته في إهلاك الظالمين:﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾[٨].

وقوله تقدست كلماته في سنته في خلق الإنسان: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٩].

وقوله تعالى وتقدس في سنته في الأرزاق: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[١٠].

٣ - استفسارات استنكارية:

نحو قوله جل ثناؤه في سنته في الهداية والضلال: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾[١١]، وقوله تبارك وتعالى في سنته في الأجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[١٢]، وقال جل في علاه في سنته في الإهلاك: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾[١٣].

٤ - ورود فعل الله -جل جلاله- مع تعليله[١٤]:

يمكن لنا كذلك استخراج سنن الله واستنباطها من خلال سياق الآيات التي ورد فيها فعل الله مع تعليله وخاصة فيما يتعلق بنظام الحياة، وأخذ العبر والدروس من قصص الغابرين:

أ)- أن يذكر الله - جل جلاله - فعله معللا إياه بحرف من حروف التعليل[١٥]:

فبحرف (الباء): نحو قوله تبارك وتعالى في سنة النعم وتغييرها: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[١٦]، وقوله سبحانه في سنته في المكذبين على مر الأزمان: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾[١٧]، وقوله جل وعلا في سنته في المنافقين: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾[١٨]، وقوله سبحانه وتعالى في سنته في المشاقين لله ولرسوله في كل أرض وفي كل وقت: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١٩].

وبحرف (اللام): نحو قوله تبارك وتعالى في سنة التعارف بين الناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ﴾[٢٠]، وقوله جل شأنه في سنة الإملاء: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٢١]، وقوله تقدست كلماته في سنة الفتنة: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٢٢]، وقوله عز سلطانه في سنته في الاعتزاز بغير الله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[٢٣]، وقوله عز وجل في سنته في تداول الأيام واستبدال الأقوام: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٢٤]، وقوله تبارك وتعالى في سنة التبشير و الإنذار: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾[٢٥]، وقوله تبارك وتعالى في سنة الإنذار والإعذار: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢٦].

وبحرف (إنَّ): نحو قول الله عز وجل في سنته في الذين يكتمون الحق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[٢٧]، وقوله سبحانه وتعالى في سنته في الإهلاك: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٢٨].

وبحرف (الفاء): نحو قوله جلت حكمته في سنة العقاب الدنيوي: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[٢٩]، وقوله سبحانه في سنته في تكذيب المرسلين: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[٣٠].

وبحرف (إذْ): نحو قوله تقدس وتعالى في سنة صراع الحق والباطل: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[٣١].

وبحرف (كي): نحو قوله سبحانه وتعالى في تحقيق وعده بحفظ وإرجاع كليمه موسى عليه السلام إلى أمه[٣٢]: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٣].

وبحرف (مِنْ): نحو قوله تبارك وتعالى في سنته في هلاك الأمم: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾[٣٤].

ب) - أن يرد في القرآن فعلان يفرق بينهما بالحكم بذكر الصفة ويكون التفريق بينهما بلفظة الاستدراك (لكن)[٣٥]:

نحو قوله تبارك وتعالى في سنة الاختلاف والمختلفين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٣٦]، وقوله عز من قائل في سنة الهداية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[٣٧]، وقوله عز وجل في سنة الاصطفاء: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ

إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٣٨]، وقوله جل ذكره في سنته في هلاك الأمم: ﴿فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣٩]، وقوله تبارك وتعالى في سنته في الدعوات: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٤٠].

٥ - ورود فعل الله - عز وجل - في سياق الجملة الشرطية[٤١]:

أ) - تعليل عدم الجزاء بوجود المانع: فإذا وُجد الفعل امتنع الجزاء؛ نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤٢]، وقوله سبحانه وتعالى في سنة الأجل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[٤٣]، وقوله تعالى وتقدس في سنته في اليهود: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾[٤٤].

ب)- تعليل ترتب الجزاء على وقوع الفعل: ترتب فعل الله -سبحانه وتعالى - على الوصف بصيغة الشرط والجزاء: أي: يقع الجزاء إذا وقع الفعل: نحو قوله تبارك وتعالى في سنته في الهداية والضلال: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤٥]، وقوله عز اسمه: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤٦]، وقوله عز وجل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[٤٧].

وقوله تبارك وتعالى في سنة الانتساب:﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[٤٨].

وقوله جل في علاه في سنته في الأرزاق ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٤٩]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾[٥٠].

وقوله عز سلطانه في وعده في الإفساد اليهودي الأول؛ الذي تحقق في عهد النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم -: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً﴾[٥١].

وقوله تبارك وتعالى في سنته التي تسوق بني إسرائيل إلى (وعد الآخرة) -وهو الإفساد اليهودي الأخير-؛ ليتم استئصالهم وقطع دابرهم بمقتضى سنة الله في قطع دابر المفسدين المستكبرين في الأرض: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ[٥٢] لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[٥٣].

طرائق استنباط السنن القرآنية

وقوله جل وعلا في سنة الجزاء من جنس العمل: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[٥٤].

وقوله جلت عظمته وتقدست كلماته في سنة الاستبدال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥٥]، وقوله عز من قائل: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥٦].

وقوله جل جلاله في سنته في الذنوب والسيئات: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا[٥٧] فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٨].

وقوله تعالى وتقدس في سنته في المكذبين: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا[٥٩] جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[٦٠].

وقوله جل وعلا في سنته في النصر بعد الاستيئاس: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ[٦١] نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٦٢].

وقول الله عز اسمه في سنة الإمهال والإهلاك: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ[٦٣] لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ[٦٤] مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾[٦٥].

٦ - ورود فعل الله - عز وجل - مرتبا على صفة[٦٦]:

فيفهم السامع أن هذا الفعل يدور مع تلك الصفة أينما وجدت؛ نحو قوله تبارك وتعالى في سنة الإملاء: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[٦٧]. وقوله عز من قائل في سنة الإهلاك: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾[٦٨].

٧ - ورود فعل الله - عز وجل - أو امتناعه منوطا بغاية:

نحو قوله تبارك وتعالى في سنة العقاب الدنيوي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[٦٩]، وقوله تقدس وتعالى في سنة التمييز: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٧٠]، وقوله تبارك وتعالى في سنة التغيير: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٧١].

٨ - ترتب الجزاء من الله - عز وجل - أو امتناعه منوطا بحال[٧٢]:

نحو قوله تبارك وتعالى في سنة الوحي إلى

رسله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٧٣]، وقوله عز من قائل في سنته في الكافرين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾[٧٤]، وقوله عز سلطانه في سنته في هلاك الأمم: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾[٧٥].

٩ - الأمر بالشيء مع بيان ما فيه من مصالح:

في مواضع يأمر الله - عز وجل - بالشيء مبينا ما فيه من مصالح، نحو قوله تبارك وتعالى في سنة الإعداد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[٧٦]، وقوله تبارك وتعالى في سنة التحرز من الشيطان: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٧٧]؛ فعداوة عامة قديمة لا تكاد تزول بمقتضى سنة الله المطردة.

١٠ - النهي عن شيء مع بيان عواقبه السيئة:

نحو قوله تبارك وتعالى في سنته في الذين يتبعون السبل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٧٨].

١١ - ورود لفظة (كذلك) بمعنى: (مثل ذلك) في سياق فعل الله - عز وجل - أو قصة قرآنية:

نحو قوله تبارك وتعالى في سنته في القوم المجرمين: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[٧٩]، وقوله عز وجل في سنته في إخماد الباطل وإزهاقه وقطع دابر أهله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[٨٠]، والآية في سياق الحديث عن عاد قوم هود عليه السلام وما حل بهم من الهلاك والاستئصال لما كذبوا الرسل وأنكروا رسالة نبي الله هود عليه السلام.

١٢ - وعود مطلقة على صفات مخصوصة:

نحو قول الله تعالى في سنة الاستخلاف والتمكين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٨١]، وقوله سبحانه وتعالى في سنته في نصر المرسلين: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٨٢]، وقوله تبارك وتعالى في سنته في نصر المستضعفين: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٨٣].

هذه بعض الطرائق التفصيلية في كيفية استخراج السنن، ومما لا ريب فيه أن طريقة استخراج السنن من القرآن الكريم كثيرة، ويمكن

استعمال كل مسالك العلة التي ذكرها علماء الأصول في باب التعليل في استنباطها واستخراجها.

√ - نماذج لاستخراج السنن واستنباطها على وجه الإجمال:

ما ذكرناه سابقا من نماذج كان على وجه التفصيل، أما على وجه الإجمال فيمكننا استخراج السنن من القصص القرآني[٨٤] الذي يشغل مساحة واسعة من القرآن الكريم -تقارب ثلث القرآن-، ومن الأمثال القرآنية كذلك، والآيات التي ورد فيها ربط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات:

١ - القصص القرآني:

إن إلحاح القرآن الكريم على الأمر بالسير في الأرض، لا لمجرد التسلي والوقوف على مصارع الأقوام الغابرة، والنظر في عاقبة المكذبين على مدار التاريخ، ولكن للاعتبار، وتجنب أسباب الهلاك التي وقعوا فيها، واكتشاف سنن الله التي لا تتعطل ولا تنخرم في التاريخ حتى لا تسقط الأمة فيما سقطوا فيه وتحصدها عجلة السنن.

فالتاريخ يعيد نفسه، وتظهر فيه سنن الله جلية لاحبة. ﴿**أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[٨٥]. فأحداث التاريخ تتكرر، وسنة الله ثابتة مطردة على مدار التاريخ.

هذا وقد سعى القصص القرآني «لكشف تفاعل السنن الإلهية في واقع الناس لاستخلاص العبر والعظات بأن لاشيء يخرج عن عهوده الربانية والتي هي كلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»[٨٦].

يقول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: «لماذا القصص القرآني عبرة؟ العبرة من العبور، وكأن الواحد منا عندما يقف أمام قصص السابقين في القرآن يعبر إلى الماضين، كأنه يتخلص من قيد الزمان والمكان، ويتحرر من أسْر الواقع، ويستعلي على النظر القاصر القصير، وينطلق إلى عوالم فسيحة من تاريخ الأقدمين، وقصص السابقين فيعايشهم ويراقبهم ويتعظ بهم.

إنها نماذج بشرية مكررة تقدمها لنا قصص السابقين في القرآن: نماذج المؤمنين ونماذج الكافرين، نماذج الضعفاء الأذلاء، ونماذج الرجال الصادقين الأقوياء. وإنها قيم دائمة توحي لنا بها قصص السابقين: قيم الحق وقيم الباطل، قيم الفضيلة وقيم الرذيلة.

إنها المعركة المستمرة بين الحق والباطل، وإن التاريخ يعيد الكثير من ميادين هذه المعركة وأساليبها وصورها ومجالاتها. ولا يختلف فيها إلا الأشخاص فقط.

كم يقدم لنا قصص القرآن من دروس ودلالات وعبر، ومن قيم وحقائق وسنن، ومن زاد وعدة وسلاح، ومن طمأنينة وثقة وسعادة وثبات.

إن قصص القرآن كنزٌ لا ينفد، ومَعين لا ينضب، في دروسه ودلالاته وعِبَره، في الإيمان والعقيدة، وفي العمل والدعوة، وفي الجهاد والمواجهة، وفي المنطق والأسلوب، وفي الصبر والثبات، وفي

الموازين والحقائق»[٨٧]. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٨٨].

هذا علاوة على أن أفضل الفوائد والفرائد وأهم الدروس و العبر في القصص القرآني هو تنبيه الناس على سنن الله -تعالى- في نشوء المجتمعات واندثارها، وتأثير أعمال الخير والشر فيها، ومطالعة أمر الله في أحوال الكافرين وسنته المطردة التي -لا تتعطل- فيهم: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٨٩].

فمن قصص السابقين -غير الأنبياء- قصة قبيلة (سبأ) التي أنشأت حضارة قوية في اليمن؛ لكنها أعرضت عن الله وكفرت بأنعمه وطغت طغياناً كبيراً؛ فحصدتها عجلة التاريخ، وكان ما حدث لها سنة إلهية مطردة لا تتعطل ولا تتوقف، تحكم البشرية في كل زمان ومكان. فكل من أعرض عن الله، وطغى وتجبر وعاث في الأرض فساداً حل به عقاب الله وانتقامه وحصدته سنة الهلاك والدمار، قال الحق جل ثناؤه في القصة المذكورة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[٩٠]. «سبأ قبيلة معروفة في أداني اليمن، ومسكنهم بلدة يقال لها «مأرب»، ومن نعم اللّه ولطفه بالناس عموماً، وبالعرب خصوصاً أنه قص في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره؛ ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ أي: محلهم الذي يسكنون فيه ﴿آيَةٌ﴾ والآية هنا: ما أدرَّ اللّه عليهم من النعم، وصرف عنهم من النقم، الذي يقتضي ذلك منهم، أن يعبدوا اللّه ويشكروه. ثم فسر الآية بقوله: ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ وكان لهم واد عظيم تأتيه سيول كثيرة، وكانوا بنوا سدا محكماً يكون مجمعاً للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع هناك ماء عظيم فيفرقونه على بساتينهم التي عن يمين ذلك الوادي وشماله، وتُغِلُّ لهم تلك الجنتان العظيمتان من الثمار ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة والسرور، فأمرهم اللّه بشكر نعمه التي أدرَّها عليهم من وجوه كثيرة، منها: هاتان الجنتان اللتان غالب أقواتهم منهما.

ومنها: أن اللّه جعل بلدهم بلدة طيبة، لحسن هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغد فيها.

(...) ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بكفرهم باللّه وبنعمته، فعاقبهم اللّه تعالى بهذه النعمة التي أطغتهم، فأبادها عليهم، وأرسل عليها سيل العرم.

أي: السيل المتوعر الذي خرب سدهم، وأتلف جناتهم، وخرب بساتينهم، فتبدلت تلك الجنات ذات الحدائق المعجبة، والأشجار المثمرة، وصار بدلها أشجار لا نفع فيها، ولهذا قال: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ﴾ أي: شيء قليل من

الأكل الذي لا يقع منهم موقعا ﴿خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ وهذا كله شجر معروف، وهذا من جنس عملهم.

فكما بدلوا الشكر الحسن بالكفر القبيح بدلوا تلك النعمة بما ذكر ؛ ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ﴾ أي: وهل نجازي جزاء العقوبة - بدليل السياق - إلا من كفر باللّه وبطر النعمة؟

فلما أصابهم ما أصابهم تفرقوا وتمزقوا بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم اللّه أحاديث يتحدث بهم، وأسمارا للناس، وكان يضرب بهم المثل فيقال: «تفرقوا أيدي سبأ» فكل أحد يتحدث بما جرى لهم، ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم»[٩١].

ومن قصص الأنبياء السابقين قصة سيدنا نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، قال الحق جل ذكره: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٩٢]، وهذه سنة إلهية دائمة في نصر رسل اللّه وأنبيائه عليهم السلام.

أما قصص السيرة النبوية فهي موضوع أطروحتنا وسنفصل في ذلك في الجانب التطبيقي منها.

٢ - الأمثال القرآنية[٩٣]:

لم تذكر الأمثال في القرآن عبثاً، وإنما ذكرت لاستقراء ما وراءها من عبر غوالٍ، ودروس بالغة، وسنن إلهية ثابتة، ينكشف بها اللبس، وتتبين العثرات، حتى يدرك الناس ما ينفعهم، فيسعوا لتحصيله، ويدركوا ما يضرهم فيجتنبوه، قال الحق جل وعلا في بيان الحكمة من ضرب الأمثال:﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٩٤]، وقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٩٥]، وقال جل جلاله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٩٦].

ولذلك فإن للأمثال القرآنية شأناً عظيماً في تزكية النفوس والرقي بها نحو المعالي، فمن الأمثال -مثلاً- التي تتضح فيها سنن اللّه جلية واضحة قوله تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[٩٧]. وفي المثل سنة مطردة وهي سنة اللّه في النعم وتغييرها.

٣ - الآيات التي ورد فيها ربط النتائج بالمقدمات:

نحو قوله تبارك وتعالى في سنته في تيسير المخرج للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٩٨]، وقوله عز وجل في سنة النصر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٩٩].

إذًا فسنة اللّه ترتيب الأسباب على المسببات والنتائج على المقدمات، وترتيب المرحلة على المرحلة، والمعلومات على العلة، وتغيير النعم على تغيير ما بأنفس الناس، والنصر في ساحة الوغى على إعداد القوة المستطاعة المعنوية والمادية.

هذا، وما خفي أعظم، وأبعاد سنن الله المطردة لا متناهية. قال الدكتور محمد رشاد خليل:»وسنن الله كثيرة لا تقع تحت حصر، منها ما نعرفه ومنها ما نجهله وقد نعرفه بعد البحث، ومنها ما لا يحيط بعلمه إلا الله (...) ذلك أن السنن ليس ما نعرفه فقط وإنما ما لا نعرفه أيضا، وما لا نعرفه أكثر كثيرا مما نعرفه«[100].

ولا ننسى ما ورد في السنة النبوية المطهرة من سنن إلهية مطردة، نجدها مزعا وأشتاتا في أسفار كتب الحديث: فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ﴾[101].

والحديث يتحدث عن سنة الله في الجهاد، فإذا اشتغل الناس بالزرع في زمن يتعين فيه الجهاد وتبايعوا بالعينة حصدتهم سنن الله في الجهاد، وسلط عليهم عقابه وفق سننه العادلة.

الحواشي :

١. سورة النساء: ٢٦.

٢. سورة فاطر: ٤٣.

٣. سورة الأنعام: ١١.

٤. سورة الأنفال: ٣٨.

٥. سورة الإسراء: ٧٦-٧٧.

٦. سورة الرعد: ٣.

٧. سورة يونس: ١٤.

٨. سورة الأنبياء: ١٥.

٩. سورة فاطر: ١١.

١٠. سورة الحجر: ١٩-٢١.

١١. سورة آل عمران: ١٣٧.

١٢. سورة الإسراء: ٩٩.

١٣. سورة القصص: ٧٨.

١٤. قال الشيخ محمد مصطفى شلبي -رحمه الله-: وبالوقوف على حقيقته -التعليل- تتجلى مدارك الأئمة، ويظهر بهاء الشريعة، ويسهل دفع شبه الطاعنين عليها بالجمود، وعدم مسايرتها للزمن، ومنه يبتدئ طريق الإصلاح، وعلى ضوئه يسير المصلحون، وبسبب التكلف فيه وقف الجامدون.

والتعليل في اصطلاح أهل المناظرة: علل الشيء: بيَّن علته وأثبته بالدليل. والتعليل تبيين علة الشيء، ويطبق عندهم أيضا على ما يستدل به بالعلة على المعلول". تعليل الأحكام، ص٥-١٢ بتصرف.

وقال الدكتور علي جمعة:"والعلة هي الوصف الظاهر المنضبط المعرف للحكم، أي يوجد الحكم عند وجودها وينعدم عند عدمها.

وهي قد تكون منصوصة أو مجمعا عليها أو مستنبطة بإحدى المسالك الأخرى أو مدركة بمجرد فهم اللغة". المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم، ص٦٤.

١٥. **حروف التعليل: كي، واللام، وإذن، ومَن، ومِنْ، والباء، والفاء، وإنَّ، وإذْ.** انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، ١٦٧/٤ و١٧٧/٤. والإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ٣١٨/٣.

١٦. سورة النحل: ١١٢.

١٧. سورة غافر: ٢١.

١٨. سورة النساء: من الآية ٨٨.

١٩. سورة الأنفال: ١٣.

٢٠. سورة الحجرات: ١٣.

٢١. سورة آل عمران: ١٧٨.

٢٢. سورة طه: ١٣٢.

٢٣. سورة مريم: ٨٢.

٢٤. سورة آل عمران: ١٤٠.

٢٥. سورة مريم: ٩٦.

٢٦. سورة النساء: ١٦٥.

٢٧. سورة البقرة: ١٥٩.

٢٨. سورة الدخان: ٣٧.

٢٩. سورة هود: ١١٣.

٣٠. سورة القمر: ٩.

٣١. سورة الأنفال: ٧.

٣٢. وهي سنة من سنن الله في نصر رسله؛ فكما رد الله تبارك وتعالى سيدنا موسى عليه السلام إلى أمه كي تقر عينها، رد الله حبيبه المصطفى سيدنا محمدا ﷺ إلى أم القرى مكة المكرمة كي تقر عينه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

٣٣. سورة القصص: ١٣.

٣٤. سورة نوح: ٢٥.

٣٥. وهذا يندرج في المسلك الثالث من مسالك العلة (التنبيه والإيماء)؛ بحيث يذكر الشارع أمرين ويفرق بينهما بالحكم بذكر الصفة؛ ويكون التفريق بوسائل مختلفة، والذي يهمنا هنا التفريق بينهما بلفظة الاستدراك (لكن). انظر مثلا المسلك الثالث من مسالك العلة في كتاب: الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ٣/٣٢٦.

٣٦. سورة البقرة: من الآية ٢٥٣.

٣٧. سورة البقرة: من الآية ٢٧٢.

٣٨. سورة إبراهيم: ١١.

٣٩. سورة العنكبوت: ٤٠.

٤٠. سورة الأنعام: ٣٣.

٤١. ويدخل في المسلك الثالث من مسائل العلة؛ أي الإيماء والتنبيه. انظر مثلا: الجامع لأحكام وأصول الفقه، ص ٣٣٢-٣٣٣.

٤٢. سورة النور: ١٤.

٤٣. سورة العنكبوت: ٥٣.

٤٤. سورة الحشر: ٣.

٤٥. سورة البقرة: ٣٨.

٤٦. سورة البقرة: ٢٥٦.

٤٧. سورة الأنعام: ١٠٤.

٤٨. سورة المائدة: من الآية ٥١.

٤٩. سورة الأعراف: ٩٦.

٥٠. سورة الطلاق: ٢-٣.

٥١. سورة الإسراء: ٥.

٥٢. ﴿**فإذا جاء وعد الآخرة**﴾: هذه جملة شرطية معطوفة على الأولى ﴿**فإذا جاء وعد أولاهما...**﴾، وجواب جملة الشرط هذه -الثانية- محذوف تقديره: بعثنا عليكم عبادًا.

٥٣. سورة الإسراء: ٦-٧.

٥٤. سورة النساء: ١٢٣.

٥٥. سورة المائدة: ٥٤.

٥٦. سورة التوبة: ٣٩.

٥٧. «إذا»: ظرفية متعلقة بجوابها المقدر: انقسمتم. والجملة الشرطية مستأنفة.

٥٨. سورة آل عمران: ١٥٢.

٥٩. «إذا»: ظرفية شرطية متعلقة بـ«قالوا».

٦٠. سورة الأنعام: ٣١.

٦١. وجملة «جاءهم» جواب الشرط.

٦٢. سورة يوسف: ١١٠.

٦٣. وجملة ﴿**فلْيَمْدُد**﴾ جواب الشرط الأولى.

٦٤. وجملة ﴿**فسيعلمون**﴾ جواب الشرط الثانية.

٦٥. سورة مريم: ٧٥.

٦٦. وغالبا يكون صدر هذه الجمل بـ(كم) الخبرية التي تدل على التكرار، و(كأين) بمعنى كم الخبرية.

٦٧. سورة الحج: ٤٨.

٦٨. سورة القصص: من الآية ٥٨.

٦٩. سورة الأعراف: ٤٠.

٧٠. سورة آل عمران: ١٧٩.

٧١. سورة الرعد: من الآية ١١.

٧٢. وغالبا ما يكون صدر الجمل في هذا الباب بنفي أو بالكون المنفي (لم يكن، ما كنا، ما كان)، أي مجيء مشتقات فعل الكون مع (ما) أو (لم)، وقد تأتي بعدها لام الجحود وهي أبلغ، وقد لا تأتي.

٧٣. سورة الشورى: ٥١.

٧٤. سورة النساء: ١٣٧.

٧٥. سورة الحجر: ٤.

٧٦. سورة الأنفال: ٦٠.

٧٧. سورة فاطر: ٦.

٧٨. سورة الأنعام: ١٥٣.

٧٩. سورة يونس: ١٣.

٨٠. سورة الأحقاف: ٢٥.

٨١. سورة النور: ٥٥.

٨٢. سورة الصافات: ١٧١-١٧٣.

٨٣. سورة القصص: ٨٣.

٨٤. والقصص في القرآن الكريم على أنواع ثلاثة: ١- قصص الأنبياء السابقين عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام. ٢- قصص الأمم والأحداث الغابرة.٣- قصص السيرة النبوية المحمدية .

٨٥. سورة التوبة: ٧٠.

٨٦. منهاج الفتوى على ضوء السنن الإلهية، محمد معمر جابري، مؤسسة الندوي وجدة/المغرب، ص٩٨.

٨٧. مع قصص السابقين في القرآن، ص٣٠.

٨٨. سورة يوسف: ١١١.

٨٩. سورة الرعد: ٣١.

٩٠. سورة سبأ: ١٥-١٧.

٩١. تفسير السعدي، ص٦٧٧-٦٧٨.

٩٢. سورة الأنبياء: ٧٦-٧٧.

٩٣. الأمثال القرآنية المقصودة في درسنا تلك التي جاء بعدها إلحاح على الاعتبار بها واستنباط الدروس منها، أو تلك التي جاءت في سياق القصص القرآني.

٩٤. سورة إبراهيم: من الآية ٢٥.

٩٥. سورة الزمر: ٢٧.

٩٦. سورة الحشر: من الآية ٢١.

٩٧. سورة النحل: ١١٢-١١٣.

٩٨. سورة الأنفال:٢٩.

٩٩. سورة محمد: ٧.

١٠٠. دفاع عن التاريخ الإسلامي، ص ١٠٥-١٠٦.

١٠١. سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة، ٣٤٦٢.